

التمظهرات المنطقية في كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر

Logical Manifestations in the Book of Criticism of Poetry by Qadamah Bin Jaafar

د.العزوزي لخداري*

تاريخ النشر: 2023/05/10	تاريخ القبول: 2023/02/26	تاريخ الإرسال: 2023/02/03
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تبين ملامح المنطق اليوناني في النقد العربي عند قدامة بن جعفر من خلال كتابه نقد الشعر، وقد تميّزت هذه التمظهرات المنطقية في تحديده للماهية والمفهوم منطلقاً من مبدأ الحد وصولاً إلى التقسيمات المنطقية للعناصر الشعر إلى لفظ ووزن وقافية ومعنى مبيناً خصائص كل عنصر، بالإضافة إلى ائتلاف هذه العناصر فيما بينها ينتج عنها عناصر مركبة تتوافق في بناء البيت الشعري، كائتلاف اللفظ مع المعنى، أو ائتلاف اللفظ مع الوزن.

الكلمات المفتاحية: التمظهرات، نقد، قدامة بن جعفر، منطق، شعر.

Abstract:

This study seeks to clarify the features of Greek logic in Arabic criticism at Qudama bin Jaafar through his book Criticism of Poetry. In addition to the coexistence of these elements with each other, they result in compound elements that are compatible in building the poetic line, such as the coexistence of the utterance with the meaning, or the cohesion of the utterance with the meter.

Key words: Manifestations, criticism, Qudama bin Jaafar. Logic, Poetry.

*** **

المؤلف المرسل: لخداري العزوزي abzouzilakhdari@gmail.com

*جامعة المدية abzouzilakhdari@gmail.com

مقدمة:

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث ووضع الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

يعد كتاب نقد الشعر من أهم الكتب النقدية التي تأثرت بالمنطق والفلسفة اليونانية في القرن الرابع للهجرة. وقد جسدت هذه التأثيرات في فصول الكتاب ومتمنه بحكم بعض المسائل النقدية والمنطلقات المفهومية من ناحية الحدود والتقسيمات المنطقية التي عرّج عليها الكتاب فقد لاحظنا هذا التأثير في الماهية والحد انطلاقاً من تعريفه للشعر متابعين التقسيمات لعناصر الشعر من ألفاظ ومعاني وأوزان وقوافي بحيث تندمج هذه العناصر في بينها وتتوافق فمهما يأتلف ومنها ما يتنافر وقد أوجزناه في هذا التقديم انطلاقاً من إشكالية أين تجسد المنطق الأرسطي عند قدامة؟ وماهي التقسيمات للشعر التي نادى بها وأبرز خصائصها؟

أولاً: ماهية حد الشعر عند قدامة

إن انطلاق قدامة بن جعفر من معرفة الشعر في حد ذاته، حيث اعتمد على التعريف المنطقي إبراز قيمة وكنه الشيء، "فالشعر عنده كلام موزون مقفي دال على معنى"¹.

فقدامة بن جعفر تأثر في تعريفه للشعر بشكل عام بتعريف أرسطو للمأساة التي هي قسم من أقسام الشعر اليوناني إذ وجد الشعر ملماً بجميع العناصر التي تتكون منها المأساة، كما وجده يفصل الحديث في كل عنصر من عناصره.²

ويمكن تفصيل التعريف على النحو التالي:

- قول دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة جنس الشعر.
- موزون: يفصله عما ليس بموزون .

- مقفى: فصل بين ماله من كلام موزون مقفى وما لا قوافي له ولا مقاطع.
- دال على معنى: يفصل ما جرى من القول على قافية- ووزن مع دلالته على معنى.

ثانياً: عناصر الشعر عند قدامة

إن عناصر الشعر عند قدامة تتحد وتعرف من خلال التعريف العام للشعر فقد عرف الشعر فوجده ينطلق من لفظ ووزن وقافية ومعنى، وهذه العناصر هي في مجملها عناصر مفردة لها مميزاتا وخصائصها، كما يمكن لهذه العناصر أن تأتلف فيما بينها وتنتج أربعة عناصر مركبة أخرى، فقبل الائتلاف والاتحاد يمكن إبراز عناصر المفردة وخصائصها التي نادى بها قدامة بن جعفر.

1) اللفظ: يقول قدامة في اللفظة: "أن يكون سمحا سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة من الخلو من البشاعة"³، إن هذه الخصائص ومميزات التي حددها قدامة بن جعفر للفظ هي في موجهها خصائص بلاغية تنطلق من الكلمة فصاحتها، ويمكن أن نستصيع هذه الخصائص كالتالي :

- يجب أن يكون اللفظ سليما من الناحيتين اللغوية والنحوية.
 - يجب أن يكون مألوفاً، مأنوساً في استعمال الأدباء والخطباء والشعراء.
 - يجب أن يكون على صبيغ وأوزان عربية فصيحة.
 - يجب أن يكون سهل المخرج، عذب اللسان.
- ويعطي مثلاً حسناً لإبراز اللفظة ومتحملة من خصائص جيدة مثل قول الحارث الديباني:⁴

وتصدقت حتى استبتك بواضح صلت كمنتصب الغزال الأتلع

فلاحظ أن هذا اللفظ يشتمل على الصفات التي يشترطها قدامة في الألفاظ وبها تكون جودتها، وهذه الصفات حددت وانطلقت من التعريف السابق.

الوزن: إن الشعر العربي يختلف عن بقية أصناف الكلام كونه موزون، وبما أن القصيدة العربية القديمة يشترط فيها تحقيق وحدة الوزن والقافية، فالشاعر إذا شرع في قول قصيدة بوزن معين وقافية معينة يستوجب عليه إلزاما متابعة الوزن إلى آخر القصيدة، فالوزن هو من أساسية القصيدة العربية، وينطلق قدامة بن جعفر من وحدة الوزن في القصيدة معتمدا على بعض الخصائص والمميزات التي تشترط في الوزن، حيث يقول: "أن يكون سهل العروض من أشعار يوجد فيها ذلك، وإن خلت من أكثر نعوت الشعر".⁵

ومن الأمثلة التي ذكرها قدامة بن جعفر في نعت الوزن، قول حسان بن ثابت:

ما هاج حسان رسوم المقام ومظعن الحي ومبنى الخيام

والنؤي قد هدم أعضاده تقادم العهد بواد تهام

قد أدرك الواشون ما أملوا فالحبل من شعثناء رث الزمام.⁶

فهذه الأبيات لها وزن واحد وهي من البحر السريع، وكل القصيدة تمشي على نفس الوتر.

ومن نعوت الوزن أيضا نجد الترصيع،⁷ وهو كما يقول قدامة بن جعفر: "أن يتوخى فيه تصوير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع، أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف كما يوجد ذلك في أشعار كثير من القدماء المجيدين من الفحول وغيرهم، وفي أشعار المحسنين منهم"، ويضرب لنا مثلا بقول امرئ القيس:

مخشن مجش مقبل مدبر معا كتيس ظباء الحلب العدوان.⁸

فاللفظتين الأوليتين (مخش، مجش) مسجوعتين في تصريف واحد .

(2) القافية: إن القافية الشعرية لها خصائص ومميزات في نظر قدامة بن جعفر، فهو ينطلق من خصائصها و يبرزها في قوله: "أن تكون عذبت الحرف، سلسلة المخرج، وأن يقصد بتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، فإن الفحول و المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك، ولا يكادون يعدلون عنه،

وربما صرعوا أبياتا آخر من القصيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحرهِ"⁹ومن أمثلة ذلك قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكر حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحول¹⁰

ثم أتى بعد هذا البيت بأبيات فقال:

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنتي قد أزمعت صرمي فأجملي¹¹

وتعد القافية خارج الإبداع التلقائي أنها تخضع شأنها شأن الوزن إلى الاختيار الداعي، فالشاعر يعدها كما يعد بقية عناصر قصيدته قبل الشروع في العمل، وهذا الاختيار تراعى فيه شروط تؤهل القافية إلى الاندماج إيقاعيا ودلاليا مع النسيج البناء للنص، وهذا الكلام كله مستقصى من أفكار أرسطو الذي يعد الإنسان ميالا بطبعه الفطري إلى الإيقاع والوزن جزء منها.

المعنى: إن المعنى هو أساس من أساسيات الشعر نظرا لما يحمله من قيمة كبيرة في البناء الشعري لذا اهتم به قدامة بن جعفر، وأولاه قسطا كبيرا من الأهمية مقارنة بالوزن والقافية واللفظ، يقول قدامة في هذا الشأن: "إن المعاني كلها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها في ما أحب وأثر من غيره أن يخطر عليه معنى يروم الكلام فيه، "¹²

إن الحكمة في هذا التصور هو المعنى المكون والمنطوي ضمن أجزاء الشعر لا المعنى الموجود في سائر الفنون الأدبية، أي الاهتمام بالشكل المجسد في البناء الشعري، أي المعنى الموجود كخاصية أساسية في الشعر والذي ينطوي ضمن أجزاءه، يقول قدامة: "وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى . كان . من الرفعة والضعة، والترفت والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمد . . . وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة، أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى القائمة المطلوبة".¹³

ويستدل في ذلك بمثال قول امرئ القيس:

فأمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحتي شقها لم يحول.¹⁴

ومن خصائص ومميزات نعوت المعاني عند قدامة بن جعفر في قوله: ".....جماع الوصف لذلك أن يكون المعنى موجها للغرض المقصود غير عادل عن الأمر المطلوب"¹⁵ والمراد بهذا القول أن لكل مقام مقال فالمعاني تسير وفق الأغراض السائدة للخطاب الكلامي الشعري، وهذا ما قصد به في البلاغة العربية: "إنها ما أوفي من القول بالغرض، وأغناك عن المفسر".¹⁶

ومن خصائص نعوت المعاني وصفاتها:

• **الغلو والمبالغة:** إن هذا النعت قد عالجه قدامة بن جعفر في موضعين من كتابه وقد جمعهما في موضع واحد ".... وأقدم أمام كلامي في هذه الأقسام قولاً يحتاج إلى تقديره، وهو أنني رأيت الناس مختلفين في مذهبين من مذاهب الشعر، وهما: الغلو في المعنى إذا شرع فيه، والاقتصار على الحد الأوسط فيما يقال منه، وأكثر الفريقين لا يعرف من أصله ما يرجع إليه، ويتمسك به، ولا من اعتقاد خصمه ما يدفعه، ويكون أبداً مضاداً له، لكنهم يخطبون في الظلماء، فمرة يعتمد أحد الفريقين إلى ما كان من

جنس قول خصمه فيعتقده، ومرة يعمد إلى ما جانس قوله في نفسه فيدفعه ويعتقد نقضه ...¹⁷.

وهذا ما نجده في قول مهلهل بن ربيعة:

فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرر بالذكور.¹⁸

فهنا الغلو بين موضع الوقعة التي ذكرها الشاعر وبين حجر مسافة بعيدة جدا.

● صحة التقسيم: وتعني استفاء أقسام الشيء أو الأمر، وهو أن يبتدئ الشاعر فيضع أقساما فيستوفيها، ولا يغادر قسما منها¹⁹. كقول نصيب:

فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق قال ويحك لا أدري.²⁰

وهذه إشارة من إشارات أرسطو، في كتابه الخطابة عندما أراد مراعاة الرباطات المنطقية في الكلام "إذ المتكلم حاذي بها على ما هي متهيئة أن تكون عليه في التقدم والتأخر، وما بين بعضهما فإن منها ما يتقدم، ومنها ما يأتي بعده"²¹.

وهذا ما أراده قدامة بن جعفر بعد الفهم من العبارة، عن ضرورة مراعاة الرباطات المنطقية في الكلام.

صحة المقابلات: وهي أن يضع الشاعر معان يريد التوفيق بين بعضها البعض، أو المخالفة فيأتي في المواقف بما يوافق، وفي المالف بما يخالف على الصحة، أو يشترط شروطا، ويحدد أحوالا في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وبما يخالف بأضداد ذلك ... أي بمعنى أن يأتي الشاعر بمعنيين أو أكثر ثم يأتي بما يوافق كلا منهما أو يضاده على سبيل المقابلة الصحيحة.

ومثال ذلك قول طرماح بن حكيم:

أسرناهم وأنعمنا عليهم وأسقينا دماءهم الترابا

فما صبروا لبأس عند حرب ولا أدوا لحسن يد ثوبا .

ويلاحظ شوقي ضيف أن قدامة بن جعفر يستمد كلامه من أرسطو الذي كان دقيقا ومفصلا في التقسيمات وصحة التقابلات في الكلام .

● صحة التفسير: "وهو أن يأتي الشاعر بمعان تستدعي التفسير، فيأتي بمعان يفسرها تفسيرا صحيحا دون زيادة أو نقصان" ²².

أو هي أن يضع الشاعر معان يريد أن يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه، فإذا ذكرها أتى بها في غير أن يخالف معنى ما أتى به، ولا يزيد أو ينقص، ثم يستشهد بأبيات لبعض الشعراء منهم سهل بن هارون الذي يقول:

فوا حسرتا حتى متى القلب موجه بقصد حبيب أو تعذر أفضال ²³.

وفسر ذلك فقال :

فراق خليل مثله يورث الأسى وخله حرلا يقوم بها مالي.

إن قدامة بن جعفر أمعن في المنطق، تراه يبتعد عن الذوق في شرح وتبسيط الأمور التي تحتاج إلى المشاعر أكثر من حاجتها إلى العقل أو المنطق .

ثالثا: عناصر الشعر المركبة

تنتقل من عناصر الشعر المفردة إلى عناصر الشعر المركبة، إن الشعر يتكون في نظر قدامة بن جعفر من أربعة عناصر مفردة (اللفظ، المعنى، الوزن، والقافية) وعندما تأتلف هذه الألفاظ فيما بينها تصبح أقسام الشعر أو عناصره ثمانية، والائتلاف هو الاجتماع ويقال أنتلف الشيء أي ألفت بعضه بعضا، قال العلوي: "هو افتعال من قولهم: ألفت الخرز بعضها إلى بعض، إذا ضمها"، أما في اللسان: "وقد اختلف القوم ائتلافا وألف الله بينهم تأليفا" ²⁴.

1- ائتلاف اللفظ مع الوزن: هو أحد أقسام الائتلاف عند قدامة، وقد عرفه قائلا: "هو أن تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامة مستقيمة كما بنيت لم يضطر الأمر في الوزن إلى نقضها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها، وأن تكون أوضاع الأسماء والأفعال والمؤلفة منها هي أقوال على ترتيب ونظام، لم يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمه وإلى تقديم ما يجب تأخيره منها، ولا يضطر أيضا إلى إضافة لفظة أخرى يلتبس المعنى بها، بل يكون الموصوف مقدا والصفة مقولة عليها وغير ذلك"²⁵

إن الشاعر المطبوع هو من جرت ألفاظه وتدفت موافقة للموسيقى والوزن أي بمعنى أن الألفاظ موضوعة موافقة للوزن الموضوع لا زيادة ولا نقصان فيها بمعنى من حيث بنيتها أو صيغها.

2- ائتلاف المعنى مع الوزن: يقول قدامة: "هو أن تكون المعاني مستوفاة لم يضطر الوزن إلى نقصها عن الواجب، ولا إلى زيادة فيها عليه، وأن تكون المعاني أيضا مواجهة للغرض، لم تمتنع من ذلك ولم تعدل عنه من أجل إقامة الوزن وطلب لصحته..."²⁶

إن قدامة ينطلق من أن المعاني تكون مسايرة للوزن وفق الغرض الشعري المراد فلا يجب أن يختل هذا الشرط لأنه أساس في ائتلاف المعنى مع الوزن.

3- ائتلاف اللفظ مع المعنى: إن ائتلاف اللفظ مع المعنى عند قدامة يسير وفق شروط ومقاييس منها:

أ- المساواة: وهي في نظر قدامة أن يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، أي بمعنى أن الألفاظ قوالب للمعاني مساوية لها لا مفاضلة بينهما.

وأوضح مثال قول زهير بن أبي سلمى:

ومهما تكن عند امرئ من خليفة وإن خالها تخفى على الناس تعلم.

إن المساواة بين اللفظ والمعنى كثرفيها الكلام واهتم بها العلماء والبلغاء، وأعطى لها أرسطو تصورا حيث قال في كتاب الخطابة: "... إذا كان الأسلوب مسهبا لم يعد واضحا، وكذلك إذا كان شديد الإيجاز فالأنسب من غير شك هو الموقف الوسط..."²⁷.

إن قدامة لم يخرج عن قاعدة أرسطو لذلك نراه يذكر مبدأ الوسط والاعتدال يدرجها ضمن مصطلح المساواة.

ب-الإشارة: وهي ان يكون اللفظ القليل شاملا لمعاني كثيرة ببعض الإيماءات واللمحات التي تدل عليها، لذلك يقول قدامة: "أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معاني كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها"²⁸ أي أن يكون اللفظ القليل أوسع دلالة حيث يشتمل على معاني عديدة مستعملا في ذلك الإشارة والتلميح وخير دليل قول امرؤ القيس:

على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جري غير كز ولا وان²⁹

فقد جمع بقوله (أفانين جري) على ما لو عد لكان كثيرا وضم إلى ذلك أيضا جميع أوصاف الجودة في هذا الفرس، ويعتبر مصطلح الإشارة أنه نقل عن أرسطو الذي قال بها أرسطو وأشاد بها الكثير من المرات وهي ما تعرف عنده بالإيجاز.

ج- الإرداف: يقول عنه قدامة: "أن يريد الشاعر الدلالة على معنى من المعاني، فلا يأتي على اللفظة الدال على المعنى بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه، وتابع له، فإذا دل على التابع أبان على المتبوع"³⁰، أي يعني الكفاية وذلك أن الشاعر عندما يريد دلالات من المعاني، فإنه لا يصرح بها بلفظ مهين وإنما بلفظ مرادف له وتابع إليه، أي يشتركه في المعنى، مثل قول الشاعر:

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها وإما عبد شمس وهاشم

فالشاعر هنا يريد أن يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص بل أتى بمعنى هو تابع له وهو بعد مهوى القرط، وهذا ما يعرف في البلاغة العربية بالكنية والتعريض.

4- ائتلاف المعنى مع القافية: والمراد به أن تكون القافية متوافقة مع معنى سائر البيت، حيث يقول قدامة بن جعفر: "هو مع ما يدل عليه سائر البيت، أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت، تعلق نظم له وملائمة لما هو فيه"³¹، أي بمعنى أن القافية تكون مسيرة للمعنى المراد من البيت.

ومن أنواع ائتلاف القافية مع المعنى نجد:

أ- التوشيح: يقول قدامة: "أن يكون أول البيت شاهدا بقافيته ومعناها متعلقا بها حتى إن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته"³²، بمعنى أن السامع إذا سمع البيت الأول استنتج قافيته، ويستشهد بقول الراعي الصغير:

وأن وزن الحصى فوزنت قومي وجدت حصى ضربتهم رزينا³³

إن قوله وزن الحصى يأتي بعده رزين لعلتين، الأولى أن قافية القصيدة توجبه، والثانية أن نظام المعنى يقتضيه، لأن الذي يفاخر برجاحة الحصى يلزمه أن يقول في حصاه أنه رزين.

ب- الإيغال: يقول قدامة: "هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما، من غير أن يكون القافية فيما ذكره صنع، ثم يأتي بها لحاجة الشعر فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره من المعنى في البيت"³⁴، ويستشهد على ذلك بقول امرئ القيس:

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب³⁵

فامرؤ القيس اعتمد على تشبيهه كامل قبل القافية، وذلك أن عيون الوحش شبيهة بـ (الجزع)، ثم لما جاء بالقافية أوغل فيها في الوصف ووكده في قوله: "الذي لم يثقب"، فإن عيون الوحش غير مثقبة وهي بالجزع الذي لم يثقب أدخل في التشبيه،

ويندرج الإيغال ضمن علوم القافية و خصائصها، والواضح أن كلام قدامة عنه استمدته من العروضيين أمثال: الخليل و الأصمعي.

رابعاً: عيوب عناصر الشعر

يقول قدامة: "وإذا قد أتيت على ما ظننت إنه نعت للشعر، وعددت أجناس ذلك وفصلت أنواعه، فالآن أحب أن أبتدئ بذكر عيوب الشعر وأذكر أجناس ذلك على الترتيب الذي رتبت النعوت عليه وتحسب تلك السياقة"³⁶.

إن قدامة بن جعفر تكلم عن مميزات و خصائص المقاييس الشعرية، فلا بد أن يوضح لنا عيوب هذه المقاييس استناداً على بعض المعايير التي ابتدعها أو تأثر بها من طرف العلماء والبلغاء، وما أوحته عليه الثقافات الواردة.

أ- عيوب عناصر الشعر المفردة:

1- عيوب اللفظ: بما أن اللفظ مميزات وخصائص لجودته فكذلك صنف له قدامة عيوب تقاس بها رداءته، ومنها:

• المعاضلة: "وهي أن تستعمل اللفظة في غير موضعها من المعنى"³⁷، ومن ذلك قول الشاعر:

وما رقد الولدان حتى رأيته على البكريمترية بساق وحافر³⁸.

إن الشاعر وضع لفظة الحافر في مكان رجل الإنسان، فإنه جرى هذا المجرى من الاستعارة القبيحة لا عذر له فيه.

والمعاضلة نظن أنها مستوحاة من كلام عمر بن الخطاب عن زهير بن أبي سلم، الذي قال فيه: "لأنه كان لا يعاضل في الكلام"³⁹ وسأل أحمد بن يحيى الثعلب للمعاضلة فقال: "هي مداخلة الشيء بالشيء".

2- عيوب الوزن: إن عيوب الوزن أجمالها قدامة وجمعها في عيب واحد وهو الخروج عن العروض وأصوله وقواعده، والمعروف عن علم العروض أن له عيوب وضعها خليل بن أحمد الفراهدي والأصمعي والأخفش، ويجمع النقاد على أن قدامة بن جعفر نقل هذا الباب من كتب علماء العروض، الذين مارسوا هذه الصنعة وأبدعوا فيها، ونستطيع نحن بدورنا أن نذكر له عيب من بين عيوب الوزن التي ساردها قدامة وهو:

• التخلع: "وهو أن يكون قبيح الوزن، قد أفرط في تزحيفه، وجعل ذلك بنية لشعر كله حتى يميله إلى الإكسار وأخرجه من باب الشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة إلى ما ينكره حتى ينعم ذوقه و يعرضه على العروض فيصبح فيها، فإنما جراء هذا المجرى من الشعر ناقص الطلاوة قليل الحلاوة"⁴⁰.

و خير مثال على ذلك ما أورده قدامة في كتابه، قول عبيد ابن الأبرص:

والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب⁴¹

البيت من المخلع البسيط، ونلاحظ أن معناه جيد وألفاظه حسنة إلى الوزن فهو مشين لما جرى عليه زحافات .

3- عيوب القافية: للقوافي عيوب منها التجميع والإقواء والإبطاء والسناد، كلها معروفة في كتب العروض، فقد استنجد بها قدامة ووضعها ضمن عيوب القافية الشعرية التي تهجن الشعر وترده إلى أدنى المراتب.

• "والتجميع هو أن تكون قافية المصريح الأول من البيت الأول على روي متبئ، لأن تكون قافية آخر البيت فتأتي بخلفه"⁴²، أي بمعنى أن تكون قافية الصدر في البيت الأول على روي يبنى بأن تكون قافية العجز موافقة له، فتأتي مخالفة له.

ومثاله في ذلك قول الشماخ:

لمن منزل عاف ورسم منازل عفت بعد عهد العاهدين رياضها⁴³

• الإقواء: وهو اختلاف حركات القوافي، فتكون واحدة مرفوعة و أخرى مخفوضة⁴⁴، كقول النابغة الذبياني:

أمن أل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود

زعم الغراب أن رحلتنا غدا وبذلك خبرنا الغداف الأسود⁴⁵.

• الإيطاء: هو أن تتفق في القصيدة قافيتان، فإذا زادت على اثنتين فهوا أسمع، فإذا اتفق اللفظ و اختلف المعنى كان جائزا، وهو عند العروضيين أن تتفق قافيتان في القصيدة الواحدة لفظا ومعنى فهو عيب.

• السناد: وهو أن يختلف تصريف القافية، وهو عند أهل العروض اختلاف الردفين في القافية.

4- عيوب المعنى: من جهة التقديم الأمثل لها:

أ- فساد التقسيم: وذلك بأن يكررها الشاعر أو أن يأتي بقسمين، أحدهم داخل تحت الآخر في الوقت الحاضر، أو يجوز أن يدخل في الآخر في المستأنف أو يدع بعضها فلا يأتي به... أم القسم الذي يترك بعضها مما لا يحتمل الواجب تركه، أو أن يذكر عددا من الأقسام وعند التفصيل يدع بعضها، كقول جرير في بني حنيفة⁴⁶.

صارت حنيفة أثلاثا، فثلثهم من العبيد وثلث من موالها .

ب- فساد المقابلات: كأن يضع الشاعر معنى يريد أن يقابله لآخر، إما من جهة الموافقة أو المخالفة، فيكون أحد المعنيين لا يخالف الآخر؛ أو يوافقه أي بمعنى أن يقصد الشاعر إلى مقابلة معنى على سبيل الموافقة أو المخالفة، فيأتي المعنى الثاني لا يخالف الأول ولا يوافقه.

كقول امرئ القيس:

فلو أنها نفس تموت جميعة ولكنها نفس تساقط أنفسا⁴⁷.

ونلاحظ أن المقابلات عند قدامة جرت على الترتيب المنطقي، وهذا مكروه و معيب في نظر بعض النقاد .

ج- فساد التفسير: إن قدامة بن جعفر أورد في باب عيوب المعنى فساد التفسير، فابتدأ بقول الشاعر:

فيا أيها الحيران في ظلم الدجى ومن خاف أن يلقاه بغي من العدى

تعالى إليه تلقى من نور وجهه ضياء ومن كفه بحرا من الندى⁴⁸.

و العيب في هاذين البيتين أن الشاعر قدم في البيت الأول الظلم وبغي العدى، فكان الجيد أن يفسر هاذين المعنيين في البيت الثاني بما يليق بهما، فأتى بإزاء الظلام بالضياء وهذا صواب وكان من الواجب أن يأتي إزاء بغي العدى بالنصرة أو بالعصمة أو بالوزر أو بما يجانس ذلك، وجعل مكانه ذكر الندى ولو كان ذكر الفقر أو العدم لكان ما أتى به صوابا

ب- عيوب عناصر الشعر المركبة:

1- عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى:

• الإخلال: من أخل بالشئ أي أجحف، وأخل بالمكان وبمركزه وغيره، غاب عنه وتركه، أخل به، لم يفبه، وهو عند قدامة: "أن يترك من اللفظ ما به يتم المعنى أو يزيد في اللفظ ما يفسد به المعنى".⁴⁹

ومثل ذلك في قول عبيد الله بن عبد الله بن مسعود:⁵⁰

أعاذل عاجل مالى أحب إلي من الأكثر الرائث

فإنما أراد أن يقول: (عاجل مالى) مع القلة، أحب إلي من الأكثر البطيء، فترك مع القلة وبه يتم المعنى.

2- عيوب ائتلاف اللفظ والوزن منها:

- الحشو: "وهو أن يحشي البيت بلفظ لا يحتاج إليه لإقامة الوزن"⁵¹، بمعنى أن يقتضي الوزن زيادة لفظ ليس الكلام بحاجة إليه بل يحشي فيه حشوا. ومثال ذلك ما قاله عدي العبدشي:⁵²

نحن الرؤوس وما الرؤوس إذا سمت في المجد للأقوام كالأذنان.
فقوله "للأقوام" حشوا لا منفعة فيه.

- التثليم: أي لثم الإناء ونحوه، يلثمه ثلما وتلمه فإنثلم وتثلّم، كسر حرفه، "وهو أن يأتي الشاعر بأشياء يقصر عنها العروض فيضطر إلى ثلمها والنقص منها"⁵³.
- التذنيب: وهو أن يضطر الشاعر إلى زيادة الألفاظ بحروف حتى يستقيم العروض، ويراها قدامة بن جعفر بالإتيان بالألفاظ القاصرة عن العروض فيضطر إلى الزيادة فيها وهذا العيب السابق "التثليم".
- التغيير: "وهو أن يحيل الاسم من حالته وصورته إلى صورة أخرى إذا اضطره الوزن إلى ذلك"⁵⁴.

- تعطيل: "وهو أن لا ينتظم الشاعر نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض فيقدم ويؤخر"⁵⁵، أي أن يضطر الوزن الشاعر إلى مجانبية اتساق الكلام وانتظامه.

3- عيوب ائتلاف المعنى والوزن معا:

- المقلوب: "ويكون ذلك عندما يضطر الوزن الشاعر إلى إحالة المعنى وقلبه إلى خلاف ما قصد به"⁵⁶، بمعنى أن يضطر الوزن الشاعر إلى قلب المعنى الذي قصده.

يقول الحطيئة:

فلما خشيت الهون والغير ممسك على رغمه ما أثبت الحبل حافره⁵⁷

فهو أراد القول: أراد الحبل حافره وبذلك انقلب المعنى.

المبتور: "أن يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامه في بيت واحد فيقطعه بالقافية ويتمه في البيت الثاني"⁵⁸، بمعنى أن يطول المعنى الذي رام الشاعر إلى التغير عنه فيضطر إلى قطعه بالقافية وإتمامه في البيت الثاني.

يقول عروة بن الورد:

ألا وأبيك لو كاليوم كان أمري ومن لك بالتدبير في الأمور

فهذا البيت ليس قائما بذاته في المعنى ولكنه أتى بالبيت الثاني.

إذا ملكت عصمة أم وهب وعلى ما كان من حك الصدور.⁵⁹

فالمعنى في البيت الأول ناقص فأتمه في البيت الثاني.⁶⁰

وهنا بعيد جدا عن مناخ الفن الشعر الأرسطي، مساييرا للبلاغيين العرب، الذين سمو هذا النوع بالتضمنين في الشعر.

4- عيوب ائتلاف المعنى والقافية:

"أت تكون القافية مستدعاة قد تكلف في طلبها فاستعمل معنى سائر البيت"⁶¹.

أي بمعنى أن تكون القافية متكلفة قد فرضت نفسها على الشاعر دون أن تخدم المعنى.

يقول أبو تمام:

كالضبية الأدماء صافت فارتعت زهر العرار الغض والجثجاثا.⁶²

فجميع هذا البيت مبني على طلب هذه القافية.

وهو أن تكون القافية نظير لأخواتها في السجع، لا لأن لها فائدة في معنى البيت، أي بمعنى يفرضها على الشاعر حرصه على أن تكون موافقة لأخواتها في السجع، كقول أبو عدي القرشي:

ووقيت الحتوف من وارث وا ل وأبقاك صالحا رب هود.⁶³

فليس نسبة هذا الشاعر الله عز وجل إلى أنه رب هود بأحسن من نسبته إلى أنه رب نوح عليه السلام، ولكن القافية كانت دالية، فأتى بذلك للسجع.

خاتمة:

من خلال بحثنا هذا ونتيجة لتقصي جوانب التأثير ومظاهر التأثير في كتاب نقد الشعر نستنتج أنّ قدامة بن جعفر قد تأثر بالمنطق اليوناني وهذا ما لاحظناه من خلال تقسيماته المنطقية في المفاهيم والحدود، وفي منهجه الذي تبناه في كتابه، حيث جعل للنقد منهجا علميا أراد به التشخيص والتنظير في كلّ آراءه، وهذا ما غلب على الذوق والميول الذاتي في اتخاذ الأحكام وإقرارها ممّا دفعه إلى علمنة النّقد، والظّاهر أنّ النّقد يجمع بين المنهج والذّاتية.

*** **

الهوامش:

¹ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تج: عبد المنعم خفاجة، ص13.

² قصي حسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان معاملة وأعلامه، ط01. المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ص353.

³ قدامة ابن جعفر، نقد الشعر، تج: عبد المنعم خفاجة، م س، ص74.

⁴ المرجع السابق، ص76.

⁵ قدامة ابن جعفر، نقد الشعر، م س، ص78.

⁶ حسان بن ثابت، ديوان، عبد أمهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1994، ص224.

⁷ قدامة ابن جعفر، نقد الشعر، م س، ص79.

⁸ أمري القيس، ديوان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط5، 2004، ص122.

- ⁹ نفس المصدر، ص 87.
- ¹⁰ إمري القيس، ديوان، ص 110.
- ¹¹ المصدر السابق، ص 113.
- ¹² قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص 65.
- ¹³ المصدر نفسه، ص 65.
- ¹⁴ إمري القيس، ديوان، ص 113.
- ¹⁵ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص 91.
- ¹⁶ محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي، بدون طبعة، ص 187.
- ¹⁷ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص 67.
- ¹⁸ المهلهل بن ربيعة، تحقيق: طلال حرب، دار العالمية، ب ط، ص 41.
- ¹⁹ عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، دار الوعي ط 9، ص 212.
- ²⁰ قدامة بن جعفر، نقد الشعر ص 80.
- ²¹ ينظر: الخطابة لأرسطو طاليس، ترجمة: عبد الرحمان بدوي.
- ²² عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، م س، ص 211.
- ²³ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص 143.
- ²⁴ أحمد مطلوب، معجم النقد العربي، ط 01، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص 39.
- ²⁵ قدامة ابن جعفر، نقد الشعر، ص 165.
- ²⁶ المصدر السابق، ص 166.
- ²⁷ أرسطو: فن الخطابة، تر: إبراهيم سلامة، ط 1959، ص 238.
- ²⁸ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص 154-155.
- ²⁹ - امرؤ القيس، ديوان، ص 160.
- ³⁰ نفس المرجع، ص 157.
- ³¹ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، م س، ص 167.
- ³² قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص 167.
- ³³ المصدر نفسه، ص 168.
- ³⁴ المصدر نفسه، ص 168.
- ³⁵ امرؤ القيس، ديوان، تحقيق: عبد الرحمن مصطاوي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط 2، 2004، ص 78.
- ³⁶ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، م س، ص 172.
- ³⁷ المصدر السابق، ص 174.
- ³⁸ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص 175.
- ³⁹ نفس المصدر نفس الصفحة.
- ⁴⁰ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، م س، ص 178.

- ⁴¹ عبد بن الأبرص، ديوان، تحقيق والشرح: أشرف أحمد عررة، دار الكتاب العربي، ط1، 1994، ص23.
- ⁴² أسامة بن المرشد، البديع في نقد الشعر، نج: بدوي وعبد المجيد، ط1، 1960، دار مصطفى البابي، مصر، ص64.
- ⁴³ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص182.
- ⁴⁴ أبو علي عبد الباقي: كتاب القوافي، ط2، 1962، ص169.
- ⁴⁵ النابغة الذبياني، ديوان، تحقيق: حمد وطماس، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2، 2005، ص38.
- ⁴⁶ جرير، ديوان، دار بيروت، بيروت لبنان، ط1، 1986، ص498.
- ⁴⁷ امرؤ القيس، ديوان، ص112.
- ⁴⁸ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص199.
- ⁴⁹ أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ص119.
- ⁵⁰ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص204.
- ⁵¹ المرجع نفسه، ص95.
- ⁵² المرجع نفسه، ص206.
- ⁵³ أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ص293.
- ⁵⁴ أسامة بن المنقذ البديع في نقد الشعري، تج، أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، ط1، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1960، ص130.
- ⁵⁵ أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ص363.
- ⁵⁶ المرجع نفسه.
- ⁵⁷ الحطيئة، ديوان، تحقيق: حمد وطماس، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2، 2005، ص58.
- ⁵⁸ أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ص365.
- ⁵⁹ عروة بن الورد، ديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1998، ص64.
- ⁶⁰ نفس المصدر، ص209.
- ⁶¹ أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ص210.
- ⁶² أبو نمام، ديوان، تحقيق: الخطيب التبريزي، ج1، دار الكتاب العربي، ط2، 1994، ص168.
- ⁶³ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص246.